

تفسير أبي السعود

سورة الملك 14 .

من يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير لأن الخزنة قالوا لهم في تصاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتکذبیهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء وقرء بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي فاسحقوهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقوهم الله اي بعدوا سحقا اي بعدهم كما في قول من قال او عضة دهريا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وابتتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لأصحاب السعير للبيان كما في هيئت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليس ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن أعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنبهم وأجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي ﷺ فيوحى اليه ﷺ فقال بعضهم لبعض اسروا قولمكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر لايذان بافتتاحهم ووقوع ما يحذرون من اول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه للمحيط لجميع المعلومات لأن علمه تعالى بما يسروه اقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضر في القلب يتعلق به الأسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليلا لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعال وتحليله الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه لأنه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يتسرون به وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدر والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى الا

يعلم من خلق